-المنهج النفسي:

إن إعادة الأدب إلى نشأة النفس ونوازعها يعود إلى الفلسفة الإغريقية فمنذ أن طرد أفلاطون الشعراء من جمهوريته وادعائهم بأنهم مرضى عصبيين بدأت تظهر علاقة وطيدة بين الأدب والنفس وقد تابع ارسطو عن كثب هذه العلاقة من خلال نظريته عن التطهير.

وفي العصر الحديث تطورت الدراسات وظهر علم النفس الذي كان الأدب من مجالات، وعلى الرغم من أن مؤسسه سيغموند فرويد لم يكن ناقدا أدبيا إلا أن أبحاثه حول الأحلام قادته لأن تكون النصوص الأدبية ميدانا خصبا لتحليلاته الإكلينيكية، كما قرب اهتمامه بالمسرح الأسطوري (أسطورة أوديب) بالأدب. وقد انتهى كما هو معلوم إلى أن ثمة علاقة مباشرة بين الأنا الفردية والسلوك فكل ما يبدر من سلوكيات سلبيه او ايجابيه هو انعكاس لليبيدو؛ وحتى الفنان فإن فنه هو تعويض عن حالته النفسية التي تقودها وفي أعلى مستوياته الغريزة.

ولقد اهتم نقاد الأدب بشخصية الأديب والفنان بصورة عامة بتأثير من دراسات فريد، وكان أولهم سانت بيف الذي أنجز دراسة علمية حول شخصية المؤلف تم التركيز فيها على شخصيته، وكل ما له علاقة بها من قريب أو من بعيد.

1-سيغموند فرويد:

بدأ المنهج النفسي و بشكل علمي منظم مع بداية علم النفسي ذاته منذ 100 عام أو يزيد، على وجه التحديد في نهاية القرن 19 بصدور مؤلفات فرويد في تحليل النفسي و تأسيسه لعلم النفس، استعان في هذا التأسيس بدراسة ظواهر الإبداع في الأدبي والفنون كتجليات للظواهر النفسية.

كانت النقطة التي انطلق منها فريد في هذا الصدد تتمثل في تمييزه بين الشعور واللاشعور، وبين الوعي واللاوعي، واعتبار اللاوعي المخزن الخلفي غير الظاهر الشخصية الإنسانية، واعتباره متضمنا العوامل الفعالة في السلوك، وفي الابداع، وفي الإنتاج.

درس فرويد بعض الظواهر المرضية، ثم ربط الإبداع الأدبي بمثل هذه الظواهر ايذانا باعتبار المبدع احدى حالات الشذوذ التي يمكن عن طريق تحليلها الكشف عن الحالات السوية الأخرى، ولم يكن ذلك

يقلق منهج فريد ولا تلاميذه في التحليل، لأن نقطة ارتكاز هم بؤرة اهتمامهم تتمثل في الدرجة الأولى في الكشف عن القوانين الخفية والمضمرة التي تعمل بها الذات الإنسانية الكشف عن طبقات. الشخصية وعن حالاتها المختلفة وتجلياتها والتوسل بكل ذلك لعلاج ما يصيبها من أمراض وحالات.

2–يونج:

يرى أن الشخصية الإنسانية لا تقتصر حدودها على تجربة الفردية، وإنما تمتد لتستوعب التجربة الإنسانية للجماعة الموغلة في القدم، ويعتبر الناقد الكندي نورثروب فراي من أهم النقاد الذين وظفوا نظريات يونغ في علم النفس الجماعي في تحليل الأدب، وذلك في كتابه الشهير تشريح النقد.

3–شارل مورون :

وقدم شارل مورون Charles Mouron بتأثير من فرويد منهجا مختلفا يقوم على استثمار معطيات المنهج النفسي في دراسة ميادين أخرى كالطب، والبيداغوجيا، والقانون والسوسيولوجيا، فهو من الداعين إلى توسيع مجال علم النفس، وعدم حصره في دراسة الشخصية المرضية. وما يلفت الانتباه عند شارل مورون هو الاهتمام بالعامل الاجتماعي في التجربة الفردية، ومن هنا كان اللقاء بين علم النفس وعلم الاجتماع. فكيف يا ترى يتجلى العامل الاجتماعي في منهج مورون النفسي؟

ميز شارل مورون في دراسته الشهيرة عن الشاعر الفرنسي بودلير بين الأنا المبدع والأنا الاجتماعي، وبالنسبة للأنا الاجتماعي للمبدع فيظهر في جانبين: الأول يخص الإبداع في حد ذاته بينما يهتم المظهر الثاني بمجموعة علاقاته الاجتماعية؛ وإذا كانت الأولى الداخلية فإن الثانية تكون خارجية، وهي واقعة تحت تأثير الأولى فهي التي تواجهها وتقودها إلى الإبداع الانساني؛ لتصبح لهما مرجعية واحدة هي منطقة اللاشعور.

ولقد ميز شارل مورون بين الناقد النفسي والمحلل النفسي، فالأول يهتم بعملية تأويل الأعمال الأدبية في ضوء علم النفس. أما المحلل النفسي فهو يهتم بتقديم العلاجات للمرضى.

وكان تركيز شارل مورون على اللغة كبير في عملية تحليل النصوص الأدبية؛ فينبغي استثمار اللغة للكشف عن الأفكار اللاواعية في النص الأدبي.

ولقيت إسهامات شارل مورن نجاحا كبيرا في الوسط الأدبي، فلقد لفت انتباه الدارسين إلى ضرورة ربط العلاقة بين النص الأدبي وحياة صاحبه، ولقد انصب النقد النفسي مع مورون على النقد في المرتبة الأولى، لا على العلاقات السريرية (أن النقد النفسي هو قبل كل شيء تقنية تبحث عن تجميعات الأفكار غير الإرادية خلف بنية النص).[1] ليكون هذا الناقد أول من أخضع التحليل النفسي للنقد الأدبي فقد قلب معادلة فرويد لأنه أعطي العمل الادبي الأسبقية وجعل التحليل النفسي في خدمة النقد الأدبي. **ويقوم المنهج النفسي عند شارل مورون على أربع خطوات هي:**

1-التنضيد :

وهو قراءة كل أعمال الكاتب من أجل إدراك ملامحها، وتحديد التكرارات إن وجدت، والتنضيد لا يقصد به المقارنة (يحضر التنظيم بديهيا في ذهن الناقد، وينبغي على المحلل النفساني أن يطبق ما يمكن أن يسميه الانتباه العائم، وهذا يستدعي معرفة نصوص كثيرة عن ظهر قلب. وسماع أحد تلك النصوص ومعرفة فائدته بالمقارنة مع نصوص أخرى) [2].ويذكرني هذا الاجراء بالوصف في المنهج البنيوي، فهو أولى خطوات البحث فيه.

2-الأسطورة الشخصية :

وهي مرحلة الرغبة اللاواعية في حياه الفرد، وقد تدل إن وجدت في النص الأدبي على قوى متصارعة ،وهي تظهر في شكل صور متكررة في أعمال الكاتب ،وقد (تسهم العوامل الاجتماعية في تكوينها خصوصا بعد فاصل الطفولة). [3]

وتظهر في شكل استعارات و مصدرها خارجي، وهو المسؤولة عن صياغة الجانب الإبداعي ؛لأن كل مبدع له أسطورته الشخصية الخاصة به ،والتي أسهمت العوامل الاجتماعية في تكوينها .

---

[11] Charles Mouron dit métaphore obsédants personnel introduction à la psycho critique 8 tirage librairie José corti 19 98 pages 23

[2] المرجع نفسه صفحة 23.

[3] عمر الطالب ،مناهج الدراسات الأدبية ،مطبعة النجاح الجديدة طبعة 1، 1988، صفحة 50 .

3–السيرة الذاتية :

يعد شارل مورون البحث في سيرة الكاتب الشخصية خطوة مهمة لقراءة أعماله الإبداعية، والهدف هو التأكد من صحة العلاقة بين الشخصية اللاواعية في النص الأدبي وشخصية اللاواعية الموجودة في الواقع المادي .

وللإمام بالسيرة الذاتية للكاتب يجب الاهتمام بالوسط الاجتماعي وتاريخ الأدب الشخصي وتاريخ اللغة. ولقد أثبت مورون (عن طريق قراءة القصائد مدى أهمية واقعة موت الاخت الصغرى ماريا عند الشاعر وهو حدث أهمله كتاب سيرة هذا الشاعر) [4].

أولى شارل مورن المبدع الأهمية القصوى في منهجه، وقد عد النقاد هذا الاهتمام عيبا في منهجه إذ جعل النص الأدبي في المرتبة الثانية. بمعنى أنه جعل التحليل النفسي مجرد وسيلة منهجية قراءة النصوص الأدبية لتكون العمل الأولوية للنص من خلال الاهتمام بالمبدع. وتجدر الإشارة إلى شارل مورن كان حذرا في تطبيق معطيات تحليل النفسي، وذلك لرفضه فكرة إدخال المعارف العلمية في دراسة النصوص الأدبية.

والفرق بينه وبين سانت بيف الذي كان المبدع محور دراسته، هو أنه شارل مورن لم يهتم بالمبدع من خلال نتاجه الأدبي، لأن من منظوره (القضية الهامة التي تواجه الناقد الأدبي هي تفكيك الشفرات الموجهة والمتحكمة في العمل الإبداعي، واكتشاف الرؤية المهيمنة سواء أكانت فردية أم خاضعة لتصور جماعي منعكس في ثنايا النص ويمكن الوصول إلى معرفة هذه الرؤية وتفكيكها عبر الأدوات التي يمنحها التحليل النفسي، ومنها تصبح دراسة أعمال راسين تبحث عما تنطوي عليه أعماله من مدلولات)[5].

إن التمظهر الاجتماعي عند شارل مورن يظهر من خلال النص الأدبي نفسه، وليس من خلال الحياة الواقعية للكاتب؛ فمورون يتوقف عند النص الذي اتخذه المبدأ والغاية؛ ما يجعل من تحليله

---

[4] أحمد كمال زكي النقد الادبي الحديث اصوله واتجاهات، بدار النهضة العربية ، بيروت ،لبنان ،1981 ،صفحه 247 .

[5] عمرو علان في مناهج تحليل الخطاب السردي ،منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سوريا ، ص2008، صفحه 174 .

مختلف كل الاختلاف عن تحليل فرويد، وهذا النوع من التحليل (يفسح المجال لتحليله بوصفه صدى للبنية النفسية للاوعي المؤلف، وللسيرورة الاجتماعية التاريخية عبر وسط أساسي هو اللغة التي تمثل الحلقة الأساسية الرابطة بين مختلف المكونات). [6]

فكل نص هو نتيجة حتميه لثلاثة مصادر هي المجتمع والنص باللغة ،ويبدو أن اللغة هي الأهم ودون إهمال بقية المصادر ،و هذا هو جوهر التحليل النقدي عند مورون الذي ربط (التجربة الأدبية بثلاثة أمور متغيرة ،هي:

أولا الوسط الاجتماعي وتاريخه.

ثانيا شخصية المبدع وتاريخها .

ثالثا اللغة وتاريخها .

ويحدد مجال النقد النفسي الذي يقترح منهجه في دراسة جزء من العامل الثاني ويطلق على هذا الجزء الشخصية اللاواعية المبدع الادبي وعليه في النقد النفسي أو منهج النقد الذي يقترحه يريد له أن يكون جزءا مندمجا في عملية نقدية أوسع وأشمل وليس بديلا للنقد الأدبي ...).

و مما سبق يمكن القول أن شارل مورون لم يغفل الاهتمام بالجانب الاجتماعي ،فقد اهتم به من خلال ما أطلق عليه بالشخصية الاوعية للمبدع ، و هي علاقته بالوسط الذي ينتمي إليه و الذي يظهر في إبداعه ،كما اهتم باللغة بوصفها وسيطا هاما بين النص و المبدع و هذا ما يجعل من منهج منهجا محايثا.

تطبيقات المنهج النفسي في الثقافة العربية :

كانت بداية الدعوة إلى تطبيق هذا المنهج مع محمد خلق الله، وامين الخولي؛ اذ يرجع الفضل إليها في توجيه حركة التحليل النفسي للعمل الأدبي في بداية الثلاثينيات القرن العشرين، ويمكن إجمال نظره محمد خلف الله في:

---

[6] **المرجع نفسه، 176** .

-إن دراسة الأدب في ضوء علم النفس لا تحتاج الى تبرير ما دام الأدب نتاج إنسانيا وهو المعبر عما تنطوي عليه النفس من إحساس وشعور.

-وظيفة النقد الجوهرية لا تقوم إلا على أساس فلسفة ذوقيه شاملة تنير السبيل أمام الناقد.

أما أمين الخولي فقد دعا إلى معرفة العلاقة بين البلاغة وعلم النفس؛ لأن البلاغة صور مجازية وخروج عن المألوف، وفيها جوانب نفسيه. واما عز الدين اسماعيل فهو من القلائل الذين عرفوا كيف يستثمرون المنهج النفسي في دراسة الأدب، وخاصة في كتابه التفسير النفسي للأدب، وفي الأدب وفنونه، واهم مبادئ منهجه:

-تحليل العمل الأدبي نفسه في ضوء حقائق علم النفس لا البحث في شخصية الأديب، او دراسة عمليه الابداع، بل انه ينبه إلى أن المعرفة بتفاصيل الطرائق التي يكتب بها الأديب، ولا تفيد كثيرا في معرفة العمل الأدبي ذاته او تفسيره.

العمل الادبي وليد ولا شعور، فهو نشاط له ورمز للرغبات المكبوتة في اللاشعور الأديب، ولذلك توصف الكتابة بأنها عملية تطهير؛ أي إخراج المكبوت فنيا.

- معرفة حياة الأديب وتفسير ادبه يرى أن حياته يمكن أن تفيد في معرفة النص، ولكنها ليست أساسية بل النص هو الأهم.

ودون أن ننسى مصطفى سويف العالم الجليل مدرسه علم نفس الإبداع، ويعتبر كتابه الاسس النفسية للإبداع الفني في الشعر نقطة الارتكاز الجوهرية لأعمال هذه المدرسة.